الدعوة السلفية " الوهابية "

بين الإرجاف والإنصاف

أعدها وكتبها / أحمد بن عائض بن محمد بن يحيى عسيري .

الحمد لله ولي المتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على الهادي البشير ، والسراج المنير ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وبعد

فمن المقرر تزايد النيل من الدعوة السلفية ، وإلصاق التهم والافتراءات بها ، بل اجتماع ملل الكفر قاطبة على محاربتها في جميع أنحاء العالم ، بشتى أنواع الحروب ، في محاولة – يائسة – لاستئصالها وصرف الناس عنها ، فمن التشريد والإبادة ، إلى التجويع والتخويف ، إلى التضييق والإقصاء ، بل وسموها وأتباعها بالإرهاب ؛ وهم سادة الإرهاب ، ووصفوها بالتخلف والرجعية ؛ وهم فاقدوا القيم والأخلاق ، إلى غير ذلك مما يشاهده الجميع ظاهراً معلوماً.ومع هذا كشف الله سترهم ، وفضح أمرهم ، وأسقط أقنعتهم ، أقنعة الرأفة والرحمة ؛ بالحيوان والأطفال وبني الإنسان ، أقنعة العدل والمساواة ، أقنعة ردع الظالم ورد المظالم ، أقنعة السلم والدعوة للسلام . ومن تلك الحملات الموجهة من الكفر وأذنابه ، ما تواجهه الدعوة السلفية بهذه البلاد – مهبط الوحي وملتقى أفئدة المصلين – إذ لم يجدوا إلا التأليب ضدها بما يسمى"الوهابية" المفتعلة اسماً ودعوى .

وفيما يلي بيانٌ لموقف أولئك من الدعوة السلفية "الوهابية " ليحكمَ على ضوئها كل مسلم غيور ، وكل منصف يريد وجه الله والدار الآخرة ، من خلال النظر إلى منهج هذه الدعوة بعيداً عن التعصب والهوى أهذا المنهج موافق للكتاب والسنة أم لا ؟!! . سائلاً المولى أن يحق الحق وينصر أربابه ، ويخذل الباطل وكل ساع في ركابه . أعده وكتبه/ أحمد بن عائض عسيري

ah . asery55@gmail.com
ah . asery55@hotmail.com

** **التسمية مالها وما عليها** .

اصطناع مسمى الوهابية . لقد أُلبست دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المتمثلة في الدعوة السلفية – لباس الوهابية ، لتنفير الناس من هذه الدعوة .

** **حقيقة مسمى الوهابية** : الوهابية هي فرقة خارجية أباضية في شمال أفريقيا ، نشأت في القرن الثاني الهجري ، نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الأباضي . وقيل : هي فرقة متفرعة عن الوهبية نسبة إلى مؤسسها الأصلي عبد الله بن وهب الراسبي . قال صاحب كتاب : [الفرق الإسلامية في شمال أفريقيا] : الوهبية أو الوهابية فرقة خارجية أباضية أنشأها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الخارجي والأباضي ، وسميت باسمه"وهابية"، الذي عطل الشرائع الإسلامية ، وألغى الحج ، وحصل بينه وبين معارضيه حروب ..... المتوفى عام(197هـ) بمدينة تاهرت بالشمال الأفريقي[ترجم له الزركلي:183/4]. ثم يخبر صاحب الفرق الإسلامية : أن تلك الفرقة أخذت هذا الاسم لِما أحدثه مؤسسها من تغيرات ومعتقدات ، وكانوا يكرهون الشيعة ، قدر كراهيتهم لأهل السنة .

** ومن الملاحظ : الفارق الزمني الكبير بين ظهور تلك الفرقة الخارجية ، وبين زمن ظهور الدعوة الإصلاحية ، التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، إذ الفارق قريباً من عشرة قرون ، فالشيخ محمد توفي سنة(1206هـ)، والخارجي الأباضي عبد الوهاب بن رستم توفي سنة (197هـ).

** ومعلوم أن فرقة بهذا المعتقد ؛ تقوم على تعطيل شرائع الله تعالى ، حري أن يتصدى لها علماء الأمة ، بالإفتاء بباطلها ، والرد عليها ، وبيان فسادها للناس ، وكونها نشأت في بلاد المغرب فقد أفتى علماء المغرب بفساد تلك الفرقة .نقل أبو العباس أحمد الونشريسي المتوفى سنة (914هـ) في كتابه [المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب] ، فتوى للشيخ

علي بن محمد اللّخمي المتوفى سنة (478هـ) ،وذلك تحت عنوان : كيف يُعَامل معتنقوا المذهب الوهابي ؟ قال:وسئل اللّخمي عن قومٍ من الوهابية سكنوا بين أظهر أهل السنة زماناً وأظهروا الآن مذهبهم ،وبنوا مسجداً يجتمعون فيه ويظهرون مذهبهم في بلد فيه مسجد مبني لأهل السنة زماناً ... فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم وضربهم وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك ؟ ثم ساق جواب اللّخمي وحاصله :أنه يجب على من بسط الله يده في الأرض أن يستهينهم بالسجن أو الضرب ، وربما القتل،حتى يتفرق جمعهم ويشتهر فساد اعتقادهم ، ثم ساق اللّخمي شيئاً من أدلة الكتاب والسنة ،وختم بقوله :قال تعالى:{لا تقم فيه أبداً} ،وفي هدمه ذل لهم ، وبقاؤه ركن وملجأ ، وهدمه أبين وأطيب لنفوس العامة ، لفساد مذهبهم . أ.هـ ، وبهذه الفتوى يتبين فساد تلك الفرقة التي وظف مسماها فيما بعد للدعوة السلفية .

**** لِمَ أُلبست دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مسمى الوهابية .. التي هي في الأصل الوهابية الرستمية ؟!!! ولمَ تم توظيف فتوى الوهابية الرستمية لمحاربة الدعوة السلفية ؟!!!**

ظهرت الدعوة السلفية في زمن كثر فيه الشرك بالله تعالى ، من توسل ممنوع ، وتضرع ممقوت ، بغير الله تعالى ، وصرف العبادات للأولياء والمقبورين ، كالدعاء والذبح والطواف والصلاة ونحوها ، فحارب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذلك كله ، وجاهد واجتهد لإعادة الناس إلى دينهم الموافق للكتاب والسنة ، ونبذ التبعية لعلماء السوء ، والمشيخات والأولياء ، فكانت هذه الدعوة الإصلاحية مصادمة ومعارضة لواقع الناس ولِما ألفوه ، وعاشوا عليه زمناً طويلاً ، بل رغبوا فيه ، وتمسكوا به ، وظنوه ديناً ، بل دُعوا إليه من قبل المتمصلحين في زمانهم ، وبالمقابل فهناك بعض القوى السياسية أو الإقليمية قد ارتضت تلك الحال ، بل روجت لها ، وسعت على بقائها ، لأن في إبقائها بقاء لتلك القوى ، وبما أن تلك المجتمعات قد ألفت الهوان والذلة والصغار لتعلقها بغير الله ، فلا شك أنها سوف تكون تابعة لا متبوعة ، وهذا ما تحقق لهم قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أما حين يتعلق المسلم بربه وخالقه ، ويعلم أن حياته ومماته بيد الله تعالى ، وأن

كل ما أصابه بقدر الله ، فحينها سوف يتصف المسلم بالعزة والكرامة والقوة والشجاعة ، وهذا ما لا يريده أعداء الدين ، سواءً من الخارج أو من داخل كيان الأمة ، ولما كانت الدعوة السلفية تلغي دور أولئك ، وتعيد الناس إلى التمسك الكلي بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي فيه عزتهم وقوتهم . هنا بدأت خيوط المؤامرة لمحاولة أبقاء الناس على ما هم عليه من ضلال ، ومحاربة كل ما يؤثر في ذلك الضلال ، (فلما بدأت أنوار هذه الدعوة تكشف غياهب الظلام ، وتزيل أدران الشرك ونجاساته ، وتدعو الناس إلى تحقيق التوحيد بصفائه ونقائه ، أدرك الخصوم أن ظهور هذه الدعوة السلفية نذير بزوال عقائدهم الباطلة ، فحشد أولئك الخصوم قواهم وانبروا في التشنيع بهذه الدعوة وأنصارها ، وهم أثناء تشنيعهم يذكرون معتقدهم الصوفي أو الرافضي – وغيرهما – ويزينونه للناس ويزعمون أنه الحق). وبما أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضد الشركيات بأنواعها ، وضد الخوارج وأعمالهم ، والصوفية ، والروافض ، وغيرهم ، وأن قيامها كان على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونبذ ما يخالفهما ، فلا شك أن أعداء الإسلام والمسلمين لم يرق لهم ذلك ، لذا كان من البدهي أن يحاولوا صرف الناس عن هذه الدعوة ، فسلكوا في سبيل ذلك مسالك شتى ، ومن تلك المسالك أنهم أَلبسوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لباس " الوهابية " ليتسنى لهم أن يُجروا عليها ما صدر في حق " الوهابية الرستمية " من فتاوى ، والتي نشأت في المغرب ، ولذا لُبسَ على الناس ذلك الأمر ، وخصوصاً عامة الناس ، ومن لم يكلف نفسه عنا البحث والتقصي عن حقيقة الحال ، أو كان تبعاً لغيره ، ممن أسلم عقله وقياده لسواه . فتلك هي الوهابية ، (التي فرقت بين المسلمين ، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال أفريقيا ، أما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي ناصرها الإمام محمد بن سعود –رحمهما الله– السلفية التصحيحية ، فهي ضد الخوارج وأعمالهم ؛ لأنها قامت على كتاب الله وما صح من سنة رسوله ، ونبذ ما يخالفهما وهم من أهل السنة والجماعة . والشبهة التي انتشرت في بلاد الإسلام قد روجها أعداء الإسلام والمسلمين من

مستعمرين وغيرهم لكي تبث الفرقة في صفوفهم ، فقد كان المستعمرون يسيطرون على غالب العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، وهو وقت عنفوانهم ، ويعلمون من واقع حروبهم الصليبية ، أن عدوهم الأول في تحقيق مآربهم : الإسلام الخالي من الشوائب ، وتمثله السلفية ، ووجدوا ثوباً جاهزاً ألبسوه هذه الدعوة تنفيراً ، وتفريقاً بين المسلمين – لأن مبدأهم فرق تسد – حيث أن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله لم يخرجهم من ديار الشام إلى غير رجعة ، إلا بعد أن قضى على دولة الفاطميين العبيديين الباطنيين من مصر ، ثم استقدم علماء من أهل الشام ووزعهم في الديار المصرية فتحولت مصر من التشيّع الباطني إلى منهج أهل السنة والجماعة الواضح دليلاً وعملاً واعتقاداً . فالمستعمرون خافوا من إعادة الكرّة ، بعدما رأوا دولة التوحيد السنّية ، التي قادها الإمامان : محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن سعود ، ثم من جاء بعدهما ، تتسع أعمالهما ، ويكثر المستجيبون لما تهدف إليه هذه الدعوة ، ومعلوم أن المستعمر ما دخل بلدة إسلامية إلا حاول إقصاء أهل السنة ، وتقريب أهل الأهواء والبدع ؛ لأنهم مطيته فيما يريد عمله في ديار الإسلام).

**** هل من السائغ تسمية الدعوة السلفية بالوهابية ؟؟**

تقدم أن تسمية الدعوة السلفية "بالوهابية " تسمية كانت مدروسة ولها أبعادها المختلفة التي أُعد لها بعناية ، لمحاولة التلبيس على المسلمين ، وصرفهم عن هذه الدعوة القائمة على الكتاب والسنة ، يقول أ.د .جعفر شيخ أدريس في مقال له بعنوان " المفهوم الغربي للوهابية " مجلة البيان – العدد (191) رجب 1424هـ : (الوهابي باختصار هو كل مسلم يحاول الالتزام بتعاليم دينه حتى لو كان يعيش في البلاد الغربية ، ويبدو أن الذي أقترح على السياسيين هذه التسمية لكل مسلم ملتزم بدينه بعض المختصين في الدراسات الإسلامية . وربما كان اقتراحهم لها لأسباب سياسية ، وربما يكون قد قال لهم إنكم ستستفزون مشاعر المسلمين إذا صرحتم لهم بأنكم لا تريدونهم أن يلتزموا بكتاب ربهم ولا بسنة نبيهم ، ولا أن يأخذوا شيئاً من دينهم بقوة ؛ فامكروا

عليهم بالحديث عن الوهابية بدلاً من الحديث عن الإسلام أو الكتاب والسنة ؛ لأن في العالم الإسلامي أناساً كثيراً لهم مشكلة مع الوهابية ، ولأنهم قد أثاروا حولها تهماً وألصقوا بها تعاليم نحن نعلم أنه لا علاقة لكثير منها بها) أ.هـ . ولعل من أبرز من ألصق التهم بالدعوة السلفية هم الرافضة والصوفية وغيرهم . ولكون هذه التسمية أُلصقت لمآرب مدروسة فقد أنكر كثير من علماء الدعوة هذه التسمية وردوها ، لأنه أُريد بها باطلاً ، وليست صحيحة في نسبتها ، إذ كيف تنسب الدعوة إلى عبد الوهاب والد الشيخ محمد ؛ وهو لم يباشرها ، بل القائم بها وعليها هو ابنه " محمد " ، وهذا خللٌ في النسبة ، كما يرون أن هذه الدعوة قد استمدت منهجها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا ينبغي أن تنسب لأحد من البشر ، أو تحور عن إسلاميتها . يقول الشيخ عبد الله الجبرين :(مراده بالوهابية أتباع أئمة الدعوة السلفية التي قام بها في نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب – مجدد القرن الثاني عشر – وهو وأتباعه رحمهم الله ؛ ليس لهم مذهب خاص بل هم في العقيدة على معتقد السلف الصالح والأئمة الأربعة ومن تبعهم بإحسان ، وهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة والحديث ، مع أنهم لا يعيبون من تبع مذهب إمام من الأئمة المعتبرين ، وإذا تبين لهم الحق والصواب في غير مذهب إمامهم تبعوه مع من كان). وهذا ما يراه كثير من (أتباع هذه الحركة فهم لا يرون صواب هذه التسمية "الوهابية " ، ولا ما انطوت عليه من مغالطات وأوهام، لاعتبارات مقنعة كثيرة ؛ شرعية وعلمية ومنهجية وموضوعية وواقعية ، تتلخص في أنها تمثل تماماً الإسلام الحق الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن سلك سبيل الهدى ، وإذن فحصره تحت مسمى غير الإسلام والسنة خطأ فادح وبدعة محدثة ومردودة) . ولكن في المقابل نرى من يسوّغ هذه التسمية ولا يرى فيها بأساً ، إما تمشياً مع أعداء الدعوة ، وإما نسبة لابن عبد الوهاب ، وإما لكونه من قبيلة الوهبة التميمية ؛ كما أثبت ذلك صاحب كتاب " البحر الزاخر في تاريخ العالم .. " . بل نجد أن هناك من لم يعر التسمية

كثير عنا في مقابل المنهج الذي قامت عليه ، ولعل من أبرز أولئك الشيخ سليمان بن سحمان ، في كتابه " الهدية السنية والتحفة الوهابية " ، ومحمد حامد فقي ، في كتابه " أثر الدعوة الوهابية " ، ومحمد رشيد رضا ، في " الوهابيون والحجاز " مجموعة مقالات نشرت في المنار ، ثم طبعت فيما بعد بهذا العنوان ، وغيرهم كثير . فكانوا لا يرون في هذه التسمية بأساً ما دام ارتضاها أعداؤها ، وراقت لهم تلك التسمية ، فليس هناك داع وأهمية لتقرير المسمى من عدمه ، وإنما العناية بجوهر هذه الدعوة ، في كونها قائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . بل من الملفت للنظر أن هذه التسمية جاءت نقيض ما قصدوا وأرادوا ، فمن (فضل الله على أتباع هذه الدعوة المباركة أن لقب " الوهابية " من الخصوم في كثير من الأحيان يحمل معانٍ إيجابية ويعتز بها أتباعها وعموم أهل السنة، وإن قصد به خصومهم اللمز والسبَّ . وذاك – على سبيل المثال : حين يطلقونها على من يقيم شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أصل من أصول الإسلام وشعائره العظيمة، ومن أكبر خصائص الأمة المسلمة، ومن خصال الخيرية لهذه الأمة كما قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ،وحين يطلقون"الوهابية " كذلك على الأخذ بالكتاب والسنة والتمسك بالدين وتوحيد الله تعالى ، ونبذ الشركيات والبدع، وهذه صفة مدح وتزكية يفرح بها المؤمنون . وحين يطلقون "الوهابية " على اقتفاء منهج السلف الصالح الذي هو سبيل المؤمنين ، وسنة سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – وهذه تزكية لا تقدر بثمن . والوصف السائد للوهابية عند أغلب الخصوم ومن سار في ركابهم يقصد به : كل من لا يعمل بالبدع ولا يرضاها ، وينكرها ولا يقرها . وقد توسعت بعض وسائل الإعلام والاتجاهات الغربية ومن دار في فلكها بإطلاق " الوهابية " على كل مسلم ينزع إلى التمسك بشعائر الدين وأحكامه وربما ترادف عندهم عبارة (أصولي) أو متزمت أو متشدد ، والمتمسك بالدين عندهم: متشدد). وعليه يترجم العلامة المُلا عِمران بن رضوان الشافعي الفارسي صاحب " لنجة " المتوفى سنة (1280هـ) ، المعنى السابق

وهو كون الدعوة قائمة على هدي النبي صلى الله عليه وسلم فلا تضر الأسماء ، مترجماً ذلك في قصيدته الفائقة الرائقة ، العذبة السلسة فيقول :

إن كانَ تابعُ أحمدٍ مُتوهِّبَاً ** ** فَأنا المقِرُّ بأنَّني وَهَّابِي

أنفِي الشَّرِيكَ عن الإلهِ فَلَيسَ لِي ** ** رَبٌّ سِوَى الُمتَفَرِّدِ الوهَّابِ

لا قُبَّةً تُرجى ولا وَثَنٌ ولا ** ** قَبرٌ لهُ سَببٌ من الأسبَابِ

كلا وَلا شَجرٌ ولا حجرٌ ولا ** ** عينٌ ولا نُصبٌ من الأنصابِ

أيضاً ولستُ معلِّقاً لتميمةٍ ** ** أو حَلقَةٍ أو وَدْعةٍ أو نابِ

لرجاءِ نفعٍ أو لدَفعِ بَليَّةٍ ** ** اللهُ ينفَعُني ويدفعُ ما بي

والابتداعُ وكلُّ أمرٍ محدثٍ ** ** في الدِّينِ يُنكِرُهُ أولو الألبابِ

أرجُو بأنيِّ لا أُقَارِبُهُ ولا ** ** أرضاهُ دِيناً وهو غيرُ صوابِ

هذا الذي جاءَ الصحيحُ بنصهِ ** ** وهو اعتقادُ الآل والأصحابِ

وبعصرنا من جاءَ مُعتقداً بهِ ** ** صاحُوا عليهِ مُجسِّمٌ وَهَابي

إلى أخر قصيدته التي أورد فيها ملخص العقيدة السلفية .

**** مِن الأسباب الداعية لعِداء للدعوة السلفية .**

من السنن الكونية العِداء لدين الله تعالى ، فما من نبي بُعث إلا عُودي ، وعُودي أتباعه ، ولا يزولُ ذلك العِداء إلا بتخلي أولئك الأتباع عن دينهم ، وما من دعوة قامتْ على الحق إلا نصب العِداء لها ، وذاك من سنن الله الماضية ، قدوة بالأنبياء والمرسلين ، وإن للعاقل المتتبع للأحوال التاريخية والدينية ملاحظة ذلك ، فلو نظر الناظر في الطوائف الضالة لم يجد محارباً لها أو متأمراً

عليها ، وإنما العِداء دائماً منصب على الحق وأهله " أهل السنة والجماعة " ، وإن في ذلك لزيادة يقين لكل باحثٍ عن الحق ، ودليل على معرفة أهله . وهذا ما توافق مع الدعوة السلفية في هذا الزمن ؛ فقد تكالب عليها الأعداء ، ووسموها بما ليس فيها ، ولعل من أبرز أسباب العِداء لها ما يلي :-

أولاً : أنها ظهرت في وقت عم فيه الضلال والفساد والشركيات ، حتى أصبح ذلك من الأمور المألوفة لدى الناس ، فلما جاء ما يضاد هذا المألوف نفر الناس منه ، وعادوا من جاء به ، وشنعوا عليه وحاربوه . (ولهم في حال قريش مثال سابق).

ثانياً : النزاعات السياسية والحروب التي قامت ضد هذه الدعوة حينها ، حتى وسموها بأنها مذهب جديد . يقول محب الدين الخطيب : (كان الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يستعيذ بالله من السياسة ، ومن كل ما يتصرف منها ، لأنها إذا احتاجت إلى قلب الحقائق وإظهار الشيء بخلاف ما هو عليه ، اتخذت لذلك جميع الأسباب ،واستعانت على ذلك بمن لهم منافع شخصية من وراء إعانتها ، فتنجح إلى حين في تعمية الحق على كثير من الخلق . ومن هذا القبيل ما كان يطرق آذان الناس في مصر والشام والعراق وسائر بلاد الشرق الأدنى في المائة السنة الماضية من تسمية الدعوة التي دعا بها الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب رحمه الله باسم (الوهابية) اتهاماً بأنه مذهب جديد ...).

ثالثاً : تزايد المؤلفات المعادية للدعوة السلفية ، دفاعاً من أولئك الخصوم – وبالأخص الصوفيّة والرافضة – عن معتقداتهم الفاسدة وآرائهم الباطلة. فإنه لما غلب على حال كثير من المسلمين ظهور الشركيات وانتشار البدع ، واستفحال الخرافات، والغلو في الأموات والاستغاثة بهم، وظهور تشييد المشاهد وإقامة المزارات على القبور، وزخرفتها وتزيينها وصرف الأموال الطائلة عليها ...

فلما غلب ذلك على حال عامة المسلمين ، فإن هؤلاء المتصوفة والرافضة وجدوا في هذا الواقع الآسن مرتعاً خصباً لبثّ سمومهم العقديّة ، ونشر أفكارهم المضللة .

رابعاً : الهوى . حيث رُبطتْ الدعوة بالمصالح والمقاصد الدنيوية ، وكذا بالأشخاص والمؤسسات ، فأعمى الهوى كثيراً من الناس عن الإنصاف في حكمه ، بل جانب التجرد لله تعالى ، فأخذ أولئك يكيلون لهذه الدعوة التهم والافتراءات ، وليس الهدف الأساس هو الدعوة ، وإنما جُعلت وسيلة لنفث ما بدواخلهم من أحقاد ، وأوضار ، ولو أنهم تلبثوا وتجردوا عن ذاك لاتضحت لهم الرؤيا ، وأبانوها لغيرهم . ولكن الإنصاف عزيز ، والتجرد قليل .

** **أهم الركائز التي قامت عليها الدعوة السلفية ؛ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يلي :**

أولاً : العودة إلى الكتاب والسنة . فقد دعا الشيخ إلى إعادة الناس حُكاماً ومحكومين إلى المصدر الأول للتلقي وهما كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ثانياً : تحقيق التوحيد وترسيخه في قلوب الناس وحياتهم . وهي الدعوة التي اعتنى بها الأنبياء في دعوتهم لأقوامهم فما من نبي إلا دعا إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى .

ثالثاً : محاربة الشرك بأنواعه ، والبدع ومظاهرها . قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}[النساء: 116] ، وقال صلى الله عليه وسلم :(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) البخاري ومسلم .

رابعاً : تحكيم شرع الله تعالى.{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }[المائدة:44]

خامساً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال تعالى:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[آل عمران:104]

هذه أهم الركائز والأسس التي قامت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهي من أصول الدين وركائزه ، فهل هناك إسلام يحمل غير هذه الأصول والركائز ؟!! . {فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[الصافات : 157]

** المنصفون وموقفهم من الدعوة السلفية . ماذا قال المنصفون عن هذه الدعوة ؟

معلوم لدى النقاد وأصحاب الدراسات الأكاديمية ، أن الحكم على الآخرين إنما يتم عن طريق نتاجهم الفكري ، أو كتاباتهم ومؤلفاتهم ، فيُحاكم الشخص على ضوء نتاجه العلمي أو الأدبي أو غيره ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب نتاجه العلمي متوفر في أوساط الناس ، وبهذا تكون محاكمة الشيخ رحمه الله سهلة وميسورة ، وذلك من خلال هذا النتاج ؛ لمن كان منصفاً باحثاً عن الحق وأهله . ومما يبرز مؤلفات الشيخ محمد أنها قد مُلئت بل قامت على أدلة الكتاب والسنة ، فهذا على سبيل المثال كتاب " التوحيد " ليس فيه إلا قال الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نجد بعد هذه الدلالة دلالة تشهد لصاحبها على صحة ما جاء به.فكيف يأتي من يأتي بعد ذلك فيتهم هذه الدعوة ، ويصنفها يميناً أو شمالاً ، ولعلنا نقف مع جمع من المنصفين لهذه الدعوة ، وما قالوا عنها ، وهم كثر إلا أن المقام لا يتسع لإيراد أقوال الجميع ، فنكتفي بالبعض عن الكل ، وقد حرصت أن يكونوا ممن سبق عليهم الموت ؛ أولاً ، ومن غير علماء بلاد الحرمين ؛ ثانياً .

يقول حافظ وهبة . "ت : 1387هـ ": (لم يكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نبياً كما ادعى نِيْبَهر الدانمركي ، ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق ، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة ، ولا آراء خاصة وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح. ويخالفون من عداهم ، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يخالفونهم في

مسائل معدودة من فروع الدين . وهم يرون فوق ذلك أن ما عليه أكثر المسلمين من العقائد والعبادات لا ينطبق على أساس الدين الإسلامي الصحيح).

ويقول محمد بهجة الأثري . " ت : 1416هـ " ، عن الشيخ محمد : (ويقرر غير منازع أنه رجل التوحيد والوحدة ، والتأثر الأكبر الذي رفض التفرق في الدين رفضاً حاسماً ، فلم يكن من جنس من يأتون بالدعوات ليضيفوا إلى أرقام المذاهب والطرائق المزَقِ رقماً جديداً ، يزيد العدد ويكثره ، ولكنه أوجب إلغاء هذه الأرقام ، ودعا لتحقيق "الرقم الفرد" وحده : الرقم الذي لا يقبل التجزئة كالجوهر الفرد ، ألا وهو " الإسلام " ، والإسلام ، طريقة واحدة ، لا تتفرع ، ولا تتعدد) .

ويقول محمد جلال كشك . "ت : 1414هـ ": (ودعوة التوحيد التي نادى بها الشيخ تقبلها العلماء في شتى بلدان العالم الإسلامي ، أو قل لم يستطع أحد منهم أن يرفضها ، بل على العكس ركز خصومها على اتهامها بأنه " لا جديد فيها " ، واهتموا بمناقشة الشكليات ، وافتراء الاتهامات ، بينما أعلن أكثر من عالم وفقيه أو حتى مستشرق ، انطباقها على مبادئ الإسلام الصحيحة).

ويقول الدكتور منير العجلاني . "ت : 2004م": (وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : عودة إلى الإسلام في أول أمره ومطلع فجره ، ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم . ذلك أن من دعا إلى الإسلام الأول ، فإنما يدعو إلى الإسلام كما كان يُرى في المدينة ، في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، ثم في عهود الخلفاء الراشدين... وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير : تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الإسلام وأوامره ، وتطهير للإسلام مما أدخلوه عليه من الشركيات والبدع! ولم تكن دعوة محمد بن عبدالوهاب دعوة "فيلسوف" معتزل في غرفته، ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح، يكافح دون عقيدته، ويعمل لها بلسانه ويده، وبكل قلبه، وبكل عقله، وبكل جهده. إن دعوة محمد بن عبدالوهاب ليست "

نظرية " أو كتاباً ألفه ليقرأه الناس، ولكنها منهاج رسمه، وقام وراءه يدعو إلى العمل به، بالموعظة أولاً، ثم بالقوة... قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده. فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً، بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون اليوم، لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه، لا يُحمل الناس على إتباعه بالقوة، ثم هم يفرقون بين الدين " أو الشرع " وبين القانون ، ويقولون إن الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم، ولكنها لا تلزمهم بالشرع، بل قد يخالف قانونها الشرع!. إن الإسلام وحدة دين ودنيا، ودعوة الشيخ لذلك ؛ دعوة جامعة للأمور الدينية والسياسية).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا . "ت : 1354هـ ": (ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة).

ويقول محمد حامد فقي . "ت : 1378هـ" : (الوهابية نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر . وهي نسبة على غير القياس العربي .والصحيح أن يقال المحمدية ، إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم بها هو محمد ، لا عبد الوهاب ، ..... وإنهم لحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب الأخرى ، فهم لا يدّعون ، لا بالقول ، ولا بالكتابة أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد ، ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً ، ودعاءاً ، ونذراً وحلفاً، وتوكلاً ، وطاعة لشرائعه).

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن محمد بن عبد الوهاب من المجددين بقوله : (كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى مجدداً للإسلام في بلاد نجد ، بإرجاع أهله عن الشرك والبدع التي فشت فيهم إلى التوحيد والسنة).

وقال الشيخ عِمران بن علي بن رضوان من سكان لنجه من بلاد فارس "ت :1280هـ " ، رداً على بعض الملحدين ومثنياً على الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

جاءتْ قصيدتهم تروحُ وتغتدي ** ** في سب دين الهاشمي محمدِ

قد زخرفوها للطغام بقولهم ** ** إن الكتاب هو الهدى فبه اقتدِ

** وبعد أن ذكر بعضاً من دعاواهم الباطلة ، عقب في قصيدته بما جاء به الشيخ محمد خِلافاً لما كانوا عليه من الشركيات فيقول :

الشيخُ شاهدَ بعض أهلِ جهالةٍ ** ** يدعون أصحابَ القبور الهُمدِ

تاجاً وشمساناً ومن ضاهاهما ** ** من قبةٍ أو تربةٍ أو مشهدِ

يرجون منهم قربة وشفاعةٍ ** ** ويؤملون كذلك أخذاً باليدِ

ورأى لُعَّباد القبور تقرباً ** ** بالنذر والذبح الشنيعِ المفسدِ

ما أنكر القراءُ والأشياخُ ما ** ** شهدوا من الفعل الذي لم يحمدِ

بل جوزوه وشاركوا في أكلهِ ** ** من كان يذبح للقبور ويفتدي

فأتاهم الشيخ المشار إليه بالنصـ ... ـح المبين وبالكلام الجيدِ

يدعوهم لله أن لا يعبدوا ** ** إلا المهيمن ذا الجلال السرمدِ

لا يشركوا ملكاً ولا من مرسلٍ ** ** كلا ولا من صالحٍ أو سيدِ

فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا ** ** إلا عجيب عندنا لم يعهدِ

ما قاله آباؤنا أيضاً ولا ** ** أجدادنا أهل الحِجى والسؤددِ

إنا وجدنا جملة الآباء على ** ** هذا فنحن بما وجدنا نقتدي

فالشيخ لما أن رأى ذا الشأن من ** ** أهل الزمان اشتدَ غيرَ مقلدِ

ناداهم يا قوم كيف جعلتم ** ** لله أنداداً بغير تعددِ

ثم يتابع عِمران الفارسي نظمه فيقول :

لو أنصفوا لرأوا له فضلاً على ** ** إظهار ما قد ضيعوه من اليدِ

ودعوا له بالخيرِ بعدَ مماتهِ ** ** ليكافئوه على وفاقِ المرشدِ

لكنهم قد عاندوا ، وتكبروا ** ** ومشوا على منهاجِ قومٍ حسدِ

ورموه بالبهتانِ والإفك الذي ** ** هم يعلمون به ومنهم يبتدي

كمقالهم هو للمتابعِ قاطعٌ ** ** بدخولِ جناتٍ وحور خردِ

حاشا وكلا ليس هذا شأنه ** ** بل إنه يرجو بها لموحدِ

قالوا له يا كافراً يا فاجراً ** ** ما ضره قولُ العداةِ الحسدِ

قالتْ قريشٌ قبلهم للمصطفى ** ** ذا ساحرٌ ، ذا كاهنٌ ، ذا معتدي

قالوا له غشاشُ أمةَ أحمدٍ ** ** وهو النصيح بكل وجه يبتدي

هل قال إلا وحدوا رب السماءِ ** ** وذروا عبادةَ ما سوى المتفردِ

وتمسكوا بالسنةِ البيضاءِ ، ولا ** ** تتنطعوا بزيارةٍ وتردِ

هذا الذي جعلوه غُشاً وقد ** ** بُعثت به الرسل الكرام لمن هدي

من عهد آدم ثم نوحٍ هكذا ** ** تترى إلى عهد النبي محمدِ

وكذلك الخلفاءُ بعد نبيهم ** ** والتابعون وكل حَبرٍ مهتدي

منهاجهم هذا عليه تمسكوا ** ** من كان مستناً بهم فليقتدِ

ولم أورد هذه الأبيات على أنها مدح مجرد في شخص محمد بن عبد الوهاب ، بل لبيان ما تضمنته من نقل صريح لواقع الشركيات التي كانت تعج بها جزيرة العرب ، وغيرها من البلدان . والمنصفون الذي شهدوا لهذه الدعوة كثر ، ولا يسع المقام لإيراد أقوالهم ، أو شيء منها ، فمنهم على سبيل الاختصار : محمد بشير السهسواني الهندي . ت : 1326هـ . ومحمود شكري الألوسي . ت : 1342هـ . ومحمد بن إسماعيل الصنعاني . ت : 1182هـ . وعلى الطنطاوي . ت : 1420هـ . فضلاً عن بعض المستشرقين والغربيين الذين أنصفوا هذه الدعوة ، في حين ظلمها كثير ممن يدعي آداب الإسلام ، إذ اختلق الأكاذيب ، وحاك وحبك التهم والافتراءات .

** المخالفون : وموقفهم من الدعوة السلفية .

أولاً : الرافضة . يعتقد الروافض العِداء للوهابية ، ويجعلون ذلك ديناً يدينون به ، فقسموا المسلمين إلى قسمين : الأول : الوهابية ، والقسم الثاني : بقية المسلمين ؛ من صوفية ، وأشاعرة ،وغيرهم ، فحاولوا إيهام القسم الثاني أنهم يواجهون معه عدواً واحداً ، ألا وهو الوهابية ، في محاولةٍ منهم لتفريق صف المسلمين وزعزعة كيان الأمة ، وإثارة الدعاوى الباطلة فيما بينهم . ومن المؤلم أن كثيراً من المسلمين قد وافقوهم وصدقوهم في هذه الدعوى الباطلة ، ولم يُحاكموها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهنا نقف مع بعض أقوالهم الموثقة عليهم قولاً وعملاً . أورد الموسوي في كتابه (لله ثم للتاريخ) ، وذلك أن السيد حسين الموسوي زار الإمامَ الخميني ـ للعلاقة الحميمة بينهما ـ وفي جلسة خاصة بينهما قال الخميني له : سيد حسين ، آن الأوان لتنفيذ وصايا الأئمة صلوات الله عليهم ، سنسفك دماءَ النواصب [يعني أهل السنة] نقتل أبناءهم ، ونستحيي نساءهم ، ولن نترك أحداً منهم يفلت من العقاب ، وستكون أموالهم خالصة لشيعة أهل البيت ، وسنمحو مكة والمدينة من وجه الأرض ، لأن هاتين المدينتين صارتا معقل الوهابية ، ولا بد أن تكون كربلاء ـ أرض الله المباركة المقدسة ـ قبلةً للناس في الصلاة ، وسنحقق بذلك حلم الأئمة عليهم السلام . لقد قامت دولتنا التي جاهدنا سنوات طويلة من أجل إقامتها ، وما بقي إلا التنفيذ). فأي إسلام يحمل هؤلاء ، وهم يريدون أن يمحوا مكة والمدينة من الوجود ، ويحولوا قبلة الناس إلى كربلاء ، والله يقول: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ}.[ملاحظة :الموسوي منَّ الله عليه بالهداية فأسلم ، وألف كتابه المذكور ، وبسببه أُغتيل وقتل] ويقول العالم الإيراني – الشيعي الأصل – أحمد الكسروي شاهداً على ضلال بني قومه :(ومما يُرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عاماً ، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين ، وانتشرت رسالات وطبعت كتب ، وظهر جلياً أن ليست زيارة القبب ، والتوسل بالموتى ، ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك ؛ ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب ، فقام الإسلام يجادلها ويبغي قلع جذورها ، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن ، فأثرتْ الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة الأمامية ، فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان ، ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى اعتناء ، ولم يكن نصيب الوهابيين ألا اللعن والسب كالآخرين).

ويقول أحد أئمتهم وهو العاملي : (إن بناء القبور ، وتجصيصها ، وعقد القباب فوقها وعمل الصندوق والخلعة لها مما حرمه الوهابية. وأوجبوا هدم القبور والقباب التي عليها والبناء الذي حولها ، وزعم الوهابيون أن البناء على القبور بدعة حدثت بعد عصر التابعين..) ، فهذا إمام من أئمتهم يعترف بتقديسهم للقبور ومن فيها ، ويشهد – والحق ما شهدت به الأعداء – أن الوهابية قد أنكرت ذلك وعدته من البدع . ثم يعضد شهادته بشهادة أخرى فيقول :(ومنع الوهابية تعظيم القبور ، وأصحابها ، والتبرك بها من لمس ، وتقبيل لها ، ولأعتاب مشاهدها ، وتمسح بها ، وطواف حولها ، ونحو ذلك). فالحمد لله الذي أنطقهم بشهادة لم يريدوا منها إلا الطعن والتأليب ، فكانت خلاف ما أرادوا ، ثم يقول : (ومنعت الوهابية اتخاذ الخدمة ، والسدنة لقبور الأنبياء ، والأولياء والصلحاء ، واتخاذها عيداً). ثم يقول : (ومنعوا أيضاً تزيين المشاهد بالذهب، والفضة، والمعلقات والحلي والكسوة ونحو ذلك). وكل ما أعترض عليه هذا العاملي ؛ قد جاءت النصوص بتحريمه ولا يجادل فيه إلا معارض لتلك النصوص .

وينادي مناديهم الأخر : محمد علي الأوردبادي نائحاً مولولاً على تلك القبور والقبب ؛قائلاً : (طرقت الإسلام تلك الداهية الفادحة، والفاجعة المبرحة، مفرقة الكلمة ومضعضعة أركان الجامعة ومشوشة أمر الأمة، ومضيعة الحرمة ألا وهي فادحة هدم القباب..) .ويتعجب قائلاً : (ويا للعجب فإن العدوان بهدم القباب الشرعية لم يكن إلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرمه المدينة المنورة). ويتابع قائلاً : (وهل يستطيع مسلم أن ينكر المقام العظيم في الإسلام ؛ لهؤلاء الذين هُتكت حرمتهم بهدم القباب التي بناها المسلمون معاونة لزوارهم على البرّ واستدامة لزيارتهم، واستكثار من تلاوة القرآن، وذكر الله عند مراقدهم...).

وهنا الطامة الكبرى حين يقاس هذا الدين على فساد الأديان السابقة ، وما أحدثه أهلها من تبرك بأنبيائهم وصالحيهم ، فيحتج حسن صدر الدين الكاظمي على هدم تلك القباب والمشاهد ، بقوله :(ماذا ينكرون وهذه القباب العالية والبنايات الشامخة القائمة حول مراقد الأنبياء ،

والأئمة ، والأولياء من الصحابة والتابعين ، ومراقد العلماء والصالحين قد حشيت بها بطون الأقطار والأمصار . بل أن في الآثار القائمة حول قبور الأنبياء السابقين كقبر دانيال ، وقبر هود ، وصالح ، وذي الكفل ، ويوشع في بابل ، وكقبور الأنبياء المدفونين عند البيت المقدس ..... ، لأكبر دليل على اهتمام الأمم السالفة في تعظيم مراقد أنبيائهم ، وليس بأقل من اهتمام المسلمين في تعظيم مرقد نبيهم ، ومراقد أوليائهم).

وينتقد الطباطبائي الوهابيين ويمدح قومه الإمامية فيقول :(قالت الوهابية: لا يجوز بناء القبور وتشييدها . وقالت الإمامية : يجوز بناء القبور للأنبياء والأولياء، وتشييدها وحفظها). ثم يشنع الطبطبائي على الوهابيين ، مع دغدغة مشاعر الرافضة وغيرهم فيقول : (واجتراؤهم على الله ورسوله بهدم القباب الطاهرة لأئمة البقيع الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأن ذلك منهم إنكار لمودة ذي القربى التي هي من الضروريات الثابتة بالكتاب والسنة). وهؤلاء روافض صعدة يقولون : (الوهابية أضر على الإسلام من الشيوعية، ويعنون بالوهابية الدعاة إلى الله).

ويقول السيد باقر الصدر : (أن علماء السعودية الوهابية مخالفون لإجماع المسلمين في التمسح بالقبور ، ودعوة أصحابها) .

ويقول حسن نصر " ..." ، أمين عام حزب "..." : (بكفر الوهابيين ، ويدعي أنهم لا ينسبون إلى الإسلام ، لأنهم يكفّرون الشيعة ، ويكفّرون كل المذاهب ، ويقتلون الشيعة والسنة). والواقع يشهد بخلاف ما يدعي .

** وهنا وقفة سريعة لضيق المقام ، وعلى القارئ الحكم على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ، إذ جمعوا بين سبهم للصحابة وتكفيرهم إياهم ، وسب السلفيين " الوهابيين " وتكفيرهم لهم .

- آية الله العظمى مجتبى الشيرازي : يحكم بكفر أبي بكر وعثمان وعائشة وحفصة، وهو أكبر مرجع معاصر للشيعة في يومنا هذا .

ويقول : (إن التقيّة ذهبت من الكرة الأرضية.. فلم يعد هناك من خوف. خلونا نجهر بالحقيقة . خلوهم يبينون بكل صراحة أن أبا بكر وعمر لم يؤمنا بالله تعالى طرفة عين .خلوهم يبينون بكل صراحة أن عائشة خارجية والخارجية كافرة ....) وهناك كلام فاحش عن الصحابة أنزه قلمي عن كتابته ، و نظر وسمع قرائي ؛ عن سماعه أو قراءته ، وهو موجود مثبت لا يُنكر .. فأي تطاول بعد هذا ، فلا شك أن سب وتكفير كل من أتبع طريقة هؤلاء الأطهار – من الصحابة والتابعين – شيء وارد ، ولا يستغرب ، بل هو من باب أولى ، وفي ذلك شاهدةٌ – والله – على صدق "منهج " الدعوة السلفية ... والحمد لله رب العالمين .

** **وهنا لمحة مقارنة بين السلف" أهل السنة " ، والرافضة ، لعله يتضح بها المقال :**

(فللرافضة يقولون : أن القرآن محرف وناقص . ومنهم من يقول : أنه لعلي وليس لمحمد وأن جبريل أخطاء في البلاغ .

ونحن نقول : القرآن كلام الله تام غير ناقص ، نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر : 9] .

والرافضة يقولون : أن الصحابة أرتدوا عن الإسلام ، وخانوا الأمانة والديانة ، وخصوصاً الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، فيكفرونهم ويضللونهم .

ونحن نقول:أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر بعد الأنبياء ، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ، وأن الله رضي عنهم ورضوا عنه ، وأنهم عدول جميعاً ،وأنهم لا يتعمدون الكذب على نبيهم ، وأنهم ثقات في نقلهم ، وثقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والرافضة يقولون : أن أئمة الرافضة الاثني عشر معصومون ، يعلمون الغيب ، ويعلمون علم الأولين والآخرين ، وعلم الأنبياء والمرسلين ، وعلم الملائكة ، وأن الأنبياء تبع لهم ، ويعلمون علم ما كان وما يكون ، .....).

ونحن نقول : أن أئمتهم بشر كسائر البشر ، وأن منهم فقهاء ، وعلماء ، وخلفاء ، فلا يُرفعون عن مكانتهم التي أنزلهم الله عليها ، ولا يُظلمون ولا يُفترى عليهم .

ونختم ذلك بمقارنة سريعة بين اليهود والرافضة ، ليُعلم حال هؤلاء الروافض الذين سلطوا كل إمكاناتهم لحرب أهل السنة ، وتشويه دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن تيمية : (وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود ، وذلك أن اليهود قالوا : لا يصلح الملك إلا في آل داود . وقالت الرافضة : لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي . وقالت اليهود : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل السيف . وقالت الرافضة : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي ، وينادي مناد من السماء . واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم .والرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم . واليهود حرفوا التوراة . والرافضة حرفوا القرآن .واليهود لا يرون المسح على الخفين . والرافضة كذلك . واليهود تبغض جبريل ويقولون : عدونا من الملائكة . والرافضة يقولون : غلط جبريل بالوحي على محمد). وكذلك (فاليهود يولون عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة . واليهود تسدل أثوابها، وكذلك الرافضة ، واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون الطلاق ثلاثاً شيئاً، وكذلك الرافضة ، واليهود لا يرون على النساء عدة ، وكذلك الرافضة). وبرغم هذا التوافق بين اليهود والرافضة ، إلا أن الرافضة شر من اليهود وشر من النصارى ، لأن اليهود والنصارى فُضلت على الرافضة بخصلتين : سئلت اليهود : من خير ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد .

وسئلت النصارى : من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: حواري عيسى . وسئلت الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: حواري محمد .

ثانياً : الصوفية . وأعني بالصوفية الغلاة ، الذين يتخذون المزارات ، ويتوسلون إلى القبور والأضرحة ، ويتخذونها معتكفاً ومزاراً ، ويعتقدون في الأولياء والصالحين بأنهم يضرون وينفعون ، ويجعلون الكشف والذوق والوجد ، من أهم مصادرهم ؛ التي يستغنون بها عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأولئك الذين ناصبوا العِداء للدعوة السلفية " الوهابية " لمحاربتها تلك الشركيات .

وهنا ألماحة لموقفهم من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فمثالهم مثال الشيعة يتعذر الإتيان على ما قالوا من سب وشتم وتنقص لهذه الدعوة ، ولكن نورد ما يدل على موقفهم لضيق المقام ، ولأن الهدف هو الإشارات .

يقول الشيخ حسين أحمد (1377هـ) ؛ أحد كبار أئمة " الديوبندية " في المقارنة بين أهل التوحيد الذين يسمونهم الوهابية وبين الديوبندية : (إن الوهابية الخبيثة تستقبح جداً قراءة دلائل الخيرات ، والقصيدة البردية ، والقصيدة الهمزية ويجعلون بعض أبيات قصيدة البردة من قبيل الشرك كقول البوصيري :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به .... سواك عند حلول الحادث العمم

مع أن أئمتنا وأكابرنا كانوا يأمرون مريدهم بقراءة مثل هذه الكتب ويجيزونها ، والشيخ محمد قاسم النانوتوي ، والشيخ الجنجوهي رحمهما الله أجازا قراءتها لآلاف من الناس وكانا يقرآنها . وقد أنشد الشيخ محمد قاسم النانوتوي مثل هذا البيت الذي في قصيدة البردة فقال :

انصر أيها الكريم الأحمدي .... لأنه ليس لقاسم أحد سواكَ

فإذا أنت لم تسأل عن حالنا ... فمن يسأل، ومن يكون معيناً لنا غيركَ).

والبوصيري في البيت الأول جعل النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الرب تبارك وتعالى وباقي قصيدته تدل على كثير من الشركيات . وأما البيت الثاني فكذلك ، يتجلى فيه الغلو في النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعله الناصر والمعين والمتولي لحاله من دون الله تعالى .

ويقول الشيخ حسن أحمد صدر المدرسين بدار العلو ديوبند وأحد كبار أئمة الديوبندية (1377هـ) ، في المقارنة بين أهل التوحيد الذين يسمونهم الوهابية وبين الديوبندية :(إن الوهابية يطعنون في أئمة الطريقة أمثال الخواجة بهاء الدين نقشبند ، والخواجة معين الدين الجشتي ، وغوث الثقلين عبد القاهر الجيلاني ، والشيخ عبد الوهاب الشعراني، وغيرهم قدس الله أسرارهم أجمعين ، ويسيئون الأدب في حقهم . لكن أئمة الديوبندية يحبون هؤلاء ويعظمونهم، ويرون أن التوسل بمحبتهم وتعظيمهم مفيد إلى الغاية القصوى وباعث للبركات وموجب لرضا الله سبحانه وتعالى). ثم يقول : (والحاصل: أنه لا علاقة لعقائد الوهابية بأكابر الديوبندية). فهو يعترف بالفاصل بينهما ، ويقر أن تعظيم هؤلاء الأولياء والتوسل بهم من دون الله مفيد وموجب لرضا الله . [ملاحظة : عبد القادر الجيلاني لم يكن من هؤلاء الصوفية الغلاة ، وإنما اعتقدوا فيه بعد موته]. ومع هذا فإن إمداد الله إمام الديوبندية قد نص على أن الجيلاني فاز بمرتبة الألوهية حيث قال : (لقد تناظر رجلان فقال أحدهما : إن الشيخ معين الدين الجشتي رحمة الله عليه أفضل من الحضرة الغوص الأعظم الجيلاني قدس سره .وقال الآخر : إن الحضرة الغوث المظهر الجيلاني أفضل من الشيخ الجشتي .فقلت لا ينبغي لنا أن نفضل بعض الأولياء على بعض ، وإن كان الله تعالى قال : (فضلنا بعضهم على بعض) .فقال مفضل الجيلاني على الجشي : لما قال الحضرة الغوث المطهر الجيلاني : قدمي على رقاب أولياء الله . قال الحضرة معين الدين الجشتي : بل على عيني . فثبت أفضلية الغوث الجيلاني على الجشتي). إلى غير ذلك من الشركيات ، ويجتهدون بالطعن في الدعوة السلفية ، القائمة في جميع أنحاء العالم .

والصوفية هي الوجه الآخر للتشيع ، فالشيعة يقولون : بعصمة أولياءهم . والصوفية يقولون : بحفظ أولياءهم .

ومن أهم اعتقاداتهم الفاسدة باختصار شديد . الإنسان الكامل : يعلم بواطن النفوس وما في السرائر . الأوتاد : هم الأولياء الذين يحفظون الجهات الأربعة . الأبدال : الذين يحفظون نظام الكون ، وترتيبهم على السموات السبع . النجباء : القائمون بإصلاح أمور الناس ، والمتصرفون في حقوق الخلق . النقباء : هم الذين اشرفوا على بواطن الناس ، واستخرجوا خفايا الضمائر . القطب الأكبر " الغوث الأعظم " : الذي يدير شؤون الملك كله .

فبالله عليك يا صاحب الحق ؛ ماذا تركوا لله تعالى ؟!!!! . بل جعلوا الولي أفضل من النبي فيقول قائلهم : مقام النبوة في برزخٍ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون : ولايته أفضل من نبوته .(و صدق والله ابن حزم رحمه الله حين يقول : إن الله ابتلى الإسلام بالصوفية والشيعة . والأمر كما قال ابن حزم ، فإن هاتين الطائفتين باب فتنة ، وآلة لكل مناوئ للإسلام). والصوفية هي الفرقة الوحيدة التي تتعايش مع الشيعة ، بل تمهد لانتشارهم المكان والزمان .

ومما يدينون به ويقاتلون لأجله ، ويعتقدون فيه ، المولد النبوي ، ويعتبرون من لم يحتفل به فهو مبغض للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومعادياً لسنته ، وعلى رأس هؤلاء المعادين المحاربين للمولد النبوي هم الوهابية كما يدعون . ولكي يتضح الأمر ، ويتجلى الحال للجميع ؛ أورد هذه المناظرة ، وبعدها أسوق اعترافاً من بين مئات الاعترافات لمن تبين لهم الحق ممن كانوا على هذا الظلال .

** المناظرة : وقعت للشيخ سعيد بن مسفر ، وأوردها في كتابه " عقيدة أهل السنة والجماعة " يقول : كنت في زيارة لأحدى الدول الإسلامية للمشاركة في مؤتمر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، فسألني أحد علماء ذلك البلد من أين أنت ؟ فقلت : من السعودية . فقال : أنتم في

السعودية لا تحبون الرسول صلى الله عليه وسلم . فتأثرت ، ولكني لزمت الهدوء ، وسألته : لماذا لا نحب الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لأنكم لا تحتفلون بمولده . فقلت : كلامك يعني أن التعبير عن محبة النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون بالاحتفال بمولده . قال : نعم . قلت : والله ما منعنا من الاحتفال بمولده إلا محبته صلى الله عليه وسلم . قال : وكيف ذلك ؟ قلت : هل تقبل بالنقاش العلمي بعيداً عن التعصب والهوى ؟ قال : نعم . قلت : سوف أسألك بعض الأسئلة وأرجو أن تجيبني عليها . قال : تفضل . قلت : السؤال الأول : هل هذا الاحتفال طاعة تتقربون بها إلى الله ، وترجون عليها ثواباً منه عز وجل ؟ أم هو معصية . فأجابني : هو طاعة لله عز وجل نتقرب به إليه . قلت : السؤال الثاني : هل علم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الطاعة ؛ أم جهلها ؟ قال : بل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : السؤال الثالث : هذه الطاعة التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم ، هل بلغها لأمته أم كتمها ؟ عندها وقف حائراً وأخذ يفكر في الإجابة لأنه لا يجرؤ على القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتمها ، وأيضاً لا يقدر أن يقول إنه بلغها لأنه رئيس العلماء في بلده ، لأنه يعلم يقيناً أنه لا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما يدل على مشروعيتها . ورغم هذا لم يجد بداً في الإجابة بقوله : بل بلغها . فقلت له : أعطني دليلاً واحداً من السنة ولو ضعيفاً على أنه أمر بها ، فوقف مبهوتاً متحيراً ، فقلت له : لا بد من ذلك ؛ وإلا فسوف تتهمون النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد كتمها ولم يبلغها أمته .

فقلت له : فهل هذا العلم طاعة ؟ قال : ليس بطاعة . قلت : إذاً هو معصية ؛ وأنتم تعبرون عن محبتكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعصية الله . قال : ليس معصية . قلت : إذا لم يكن طاعة ، ولا معصية ، فماذا يكون ؟ قال : بدعة حسنة . قلت : ليس في الدين بدعة حسنة لأن الحديث الصحيح قد نص على أن كل بدعة ضلالة . فقال : نحن لا نقول فيها إلا خيراً . قلت : وماذا تقولون ؟ قال : نقرأ المدائح النبوية ، وبعض أحوال السيرة ، ونحظى بالحضرة

النبوية . قلت : وما الحضرة النبوية ؟ قال : حضور النبي صلى الله عليه وسلم وتشريفه للحفل . قلت : حفلكم أنتم فقط أم جميع الاحتفالات في شتى أقطار الأرض ، وكيف يمكنه ذلك في ليلة واحدة . فسكت ولم يستطع الإجابة . ثم دخل وقت صلاة العصر ، فقلت له : ما رأيك لو صلى بنا الإمام خمس ركعات فما حكم الصلاة ؟ قال : باطلة . قلت : ولماذا ؟ والإمام ما زاد إلا خيراً ، زاد ركعة قرأ فيها الفاتحة وسبح في ركوعها وسجودها . قال : لا تصح لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرعها . فقلت له : وكذلك المولد لا يصح لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر به . عندها مد يده وقال : أعاهدك بالله أنني من هذا اليوم سأكون حرباً عليها .

** وهنا قصة شاب كان يدين بالصوفية الغالية في بلده ، ثم منّ الله عليه بالتحول ، بعد أن حكم عقله بالمقارنة فيما عايشه عند السلفية ، وفيما يدين به ، وبدأ تجربته بنصيحة لكل من يعتقد عقائد الصوفية ، أن يقف مع نفسه وقفت أنصاف وتأمل ، ثم ليكن الحكم له هو دون سواه ، واحتفظ بالمرجع للاختصار كما بينت في أول كلامي . يقول الشاب : (نصيحتي إلى كل مسلم حريص وغيور على دينه وعقيدته أن يقرأ كتب شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب– رحمه الله – ويتصل بتلاميذ دعوته وهم كثر والحمد لله ، ثم بعد ذلك يحكم على دعوته المباركة وعلى الداعين إليها . إخوتي في الله لقد كنت تلميذاً في المدرسة الدينية في مدينتنا ، وكان شيخ المدرسة – وهو أحد الصوفية على الطريقة القادرية – يكلمنا عن الشيخ ودعوته بما ينافي الحق والحقيقة . وكان ينهانا عن قراءة كتبه ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم– رحمهم الله تعالى –. حتى إنه رسم لنا صوراً مخيفة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان يطلق عليها لفظ الوهابية تنفيراً ، ويقول : بأنه مذهب خامس خارج عن مذاهب الإسلام. وقد كتب الله تعالى لي الدراسة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة في كلية الشريعة فرأيت عكس ما سمعت من شيوخ السوء والفتنة رأيت رجالَ دعوة التوحيد رجال علم وقرآن وخير وبركة متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محافظين على تعاليم الإسلام ويعتبرون

أنفسهم خدماً للإسلام ودعوة التوحيد المباركة . ونهلت من منهل الجامعة الإسلامية وكلية الشريعة منهل الكتاب والسنة. إلا أني لا أكتم سراً إذا قلت أنه حين تخرجي لا زال فيّ بعض ما كنت عليه سابقاً قبل دخول الجامعة عالقاً في ذهني من أقاويل شيوخ السوء ، رغم أنني لم أعترف بالصوفية منذ صغري بل كنت أبغضها بغضاً شديداً حيث كنت أرى بنفسي ما يأتون من منكرات ومخالطة الرجال للنساء الأجنبيات والمردان وتركهم الصلاة ، والذي يصلي منهم لا يشهد الجمعة ولا الجماعة ، ولا يصومون ويجهرون بالإفطار في رمضان وإذا سألتهم عن هذا أتوك بحجج واهية أوهى من بيت العنكبوت . وبعد تخرجي من الجامعة سنة 1397هـ شاء الله سبحانه أن أقوم بوظيفة الإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد في أحد جوامع مدينتنا المهمة فرأيت البدع منتشرة في الجامع بين صفوف المصلين فبدأت مستعيناً بالله تعالى بتغييرها مستخدماً الحكمة والموعظة الحسنة. فأثار هذا العمل المبتدعة وأصحاب المصالح ، وعلماء السوء والفتنة ؛ فقالوا : فلان وهابي ويدعو للمذهب الوهابي لأنه خريج السعودية إلى آخر كلامهم الذي لا يراد به إلا الباطل . وكما يقال : ((رب ضارة نافعة)) فعاهدت الله بعد ذلك بأن أكون أحد خدم دعوة التوحيد والداعين إليها ، ولا أخشى في الله لومة لائم ، فعكفت على دراسة كتب التوحيد كتب شيوخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب- رحمهم الله تعالى-. وقرأت عن حياة الإمام أحمد بن حنبل- رضي الله عنه – الكثير وبخاصة موقفه من فتنة خلق القرآن الكريم فأثر ذلك على حياتي تأثيراً إيجابياً أعادها إلى حظيرة التوحيد خالصة ، وإلى الإسلام صافية ، والحمد لله رب العالمين . وقلت وقتها كما قال الشيخ عمران بن رضوان – رحمه الله تعالى-: إن كان تابع أحمد متوهبا .... فأنا المقر بأنني وهاب

**** ثالثاً : موقف مراكز الدراسات والبحوث الغربية ؛ وأتباعهم العلمانيين .**

هناك عدد من مراكز الدراسات في الغرب قائمة على دراسة أحوال العالم الإسلامي ، وبالأخص " السلفية " القائمة على كتاب الله وسنة رسوله في البلاد الإسلامية ، ولعل من أهم تلك المؤسسات والمراكز :-

١ - مؤسسة " راند " في ولاية كاليفورينا ، أسست عام 1948م ، كانت ابتداء تقدم البحوث والتحليلات للجيش الأمريكي ، ثم توسع نشاطها ليشمل الدراسات عن الشرق الأوسط ، وبالأخص المسلمين ، فيها ما يقارب " 1600 " باحث وموظف ، وتتراوح ميزانيتها السنوية بين " 100 – 150 " مليون دولار أمريكي .

٢ - مؤسسة " كارنيجي " . أسست عام 1910م ، بواشنطن ، ثم أسس تبعاً لها " مركز كارنيجي للشرق الأوسط " في بيروت ، ويعنى بالدراسات الاقتصادية والإصلاحية والسياسية في الشرق الأوسط والعالم العربي .

٣ - معهد الشرق الأوسط ، وهو أعرق مؤسسات ومراكز التفكير المتخصصة ؛ وتحديداً في شؤون الشرق الأوسط ، ويتبع له جمع من المعاهد والكليات والجامعات ، في عدد من الدول ، تقوم على دراسة أحوال تلك البلدان .

وهناك الكثير من المعاهد والمؤسسات الأخرى مثل : مؤسسة بروكنجر ، ومعهد واشنطن ، ومعهد هوفر ، وغيرها ...

**** أهم الأعمال التي تقوم بها تلك المراكز والمؤسسات البحثية :**

أولاً : أن هذه المراكز ؛ تنصب جُلّ بحوثها ودراساتها على المسلمين والسلفية على وجه الخصوص ، في مصر ، وتونس ، والسعودية ، وحيثما تواجدت تلك الدعوة .

ثانياً : أن هذه المراكز لا تتخذ قرارات ؛ وإنما تقدم توصيات ، مع تحديد الوسائل ، ورسم الخطط ، واتخاذ القرار للإدارة الأمريكية ، وفي الغالب أنها تأخذ بتلك التوصيات .

ثالثاً : أنهم حاولوا تقسيم السلفية إلى تقسيمات في محاولة للمضاربة بينها ، ونشر الفرقة من خلال تلك التقسيمات التي غالباً ما يروجون لها عن طريق كتابهم والموالين لهم في العالم الإسلامي .

وهنا نأتي إلى عرض بعض الدراسات والتوصيات التي تقدمت بها تلك المراكز والمعاهد ، وسوف نقتصر فقط على ذكر ما يتضح به البيان والمقصد .

** تقدمت مؤسسة " راند " بتقرير بعنوان (إسلام حضاري ديمقراطي) في عام 2004م ، وهذا التقرير ينصب على السلفيين ، فبعد أن قسم التقرير المسلمين إلى أربع فئات " أصوليون ، تقليديون ، حداثيون ، علمانيون " : أوصى بوجوب محاربة الأصوليين واستئصالهم والقضاء عليهم ، ووجوب دعم التقليديين وتثقيفهم ونشر أعمالهم ، ليشككوا بمبادئ الأصوليين ، وليصلوا إلى مستوى الأصوليين في الحجة والمجادلة ، وتشجيع الاتجاهات(الصوفية) ، و(الشيعية) ونشر الفتاوى "الحنفية" لتقف في مقابل "الحنبلية" التي ترتكز عليها "الوهابية" .كما أوصى التقرير بدعم العلمانيين بحذر ، أي أنه دعم انتقائي بحسب الحالة ، لأن الغربيين يرون عدم ملائمة العلمانية للعالم الإسلامي .

** كما أصدرت مؤسسة " راند " تقريراً أخر عام 2007م يوصي بدعم التيار العلماني ، والليبرالي ، والعصراني ، وتسميته " بالتيار الحضاري " أو " الليبرالية الإسلامية " ؛ والهدف منه التصدي للتيارات الإسلامية ، كما يروق لهم تسميتها .

** وتقدمت مؤسست "راند" بتقرير بعنوان "إستراتيجية مقترحة " ومن توصيات هذا التقرير : توصيات عملية موجهة لصانع القرار الأمريكي لاستبعاد التيارات الإسلامية المعادية وتدعيم

التيارات الإسلامية الأخرى ، وخصوصاً ما يطلق عليه التيارات العلمانية ، والحداثية ، ولأنها أقرب ما تكون إلى قبول القيم الأمريكية ، وخاصة القيم الديمقراطية .

** وفي صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية 19/ 8/ 2012م جاءت افتتاحيتها بعنوان :"لا تخف جميع الإسلاميين ، الخوف من السلفيين" وحاصل القول : " أنها ترى أن القاسم المشترك بين الجماعات السلفية المتباينة هو الإلهام والدعم من الوهابيين " .

** ومن حيث التغيير الفكري للدعوة السلفية .

زعمهم أن المناهج التعليمية السعودية تُعلم كره اليهود والغرب ، وكان التقرير الذي أعدته مؤسسة " راند " من أبرز خطابات الاتهام الموجهة للسعودية حيث وصف الدولة التي تطبق الشريعة رسمياً ، وتحتضن الحرمين الشريفين بأنها "دولة عدو تدعم الإرهاب" وأنه لا عدول عن هذا الوصف إلا بتغيير المناهج التعليمية المستمدة من الإسلام هناك .

وقدمت بعض الدراسات أن أحد أهم أدوات أمريكا في نشر مبادئها في الشرق الأوسط هو " شن حرب أفكار". كما لم تهدأ مراكز الأبحاث ومعاهد التفكير التي يهيمن عليها اليمين المتطرف في إصدار التقارير والدراسات التي تصب كلها في كيفية إدارة تلك الحرب، وتحديد أهدافها والوسائل الخاصة بها . وقد وضع تقرير لمؤسسة "راند" المعايير التي تحدد الفرق بين المعتدلين والمتطرفين في العالم الإسلامي ، وكانت أهم معايير الاعتدال في نظر التقرير :"القبول بالديمقراطية الغربية " وإلغاء مرجعية الشريعة ، والتخلي عن التشريع الإسلامي .

** وطالب"توماس فريدمان" بأن تكثف أمريكا سياسة تغيير الأفكار بين شعوب الشرق الأوسط ، واقترح عليها أن تمنح خمسين ألف تأشيرة دراسية لطلاب عرب للقدوم إليها ، ليكونوا هدفاً للتأثير الفكري المباشر .

** وكان تقرير "راند " الصادر عام 2004م تحت عنوان " الإسلام المدني الديموقراطي، الشركاء والموارد والإستراتيجيات"،تحدث عن شركاء أمريكا من"الإسلاميين الليبراليين" في فهم الإسلام العصري أو الحداثي ، وفي مقدمة التقرير رأت شيريل برنارد : أنه لا بد من التدخل لضبط أوضاع العالم الإسلامي لصالح التماهي مع الديموقراطية الغربية والتناسق مع بقية المنظومة تشكيله من جديد وفق المصالح والقيم الأمريكية والغربية أي بناء إسلامي علماني حداثي ، ومن ثم فمجال العمل هو " علمنة الإسلام " نفسه ، والوصول إلى ذلك لا يكون إلا عبر تحركات تكتيكية يكون (الدولار) فيها هو الوقود المحرك، وهذا ما ذهب إليه تقرير راند (قلوب وعقول ودولارات) الذي نص على أهمية مزاحمة " العدو " على عقول الناس وقلوبهم، عن طريق تسخير الدولار، في تغيير الأفكار، باتجاه العلمنة والأمركة واللبرلة. وفي إطار " حرب الأفكار " كان مدير الاتصالات في البيت الأبيض (تاكر إسكيو) قد وضع خطة نشر المفاهيم والقيم الأمريكية، كُللت وقتها بتأسيس قناة (الحرة) الأمريكية وراديو (سوا) من أجل مخاطبة المسلمين بألسنةٍ أمريكية ناطقة بالعربية . وقد قال (تاكر) عند تأسيسه لهذه الوسائل الحربية الفكرية : (إننا نملك المال، ونملك الخبرة، ونملك الأفكار، ولن يستطيع أحد أن يقف أمامنا).

ونقول : بل تقف أمامكم عقيدة الإسلام التي تشربتها قلوب المسلمين ودانت بها فباعوا لأجلها النفس والنفيس .

تقدم دور مراكز البحوث الغربية في محاولة تحجيم وتعطيل الدعوة السلفية ، بل ومتابعة نشاطها الدعوي بكل دقة ، وهنا يأتي دور " العلمانيون " في تفعيل بعض تلك التوصيات ، حيث يرون أنه يقوم عليهم عبء كبير في تنفيذ ما يُملى عليهم ، أو تراه تلك المراكز والمؤسسات ، فنجدهم بين الفينة والأخرى ، يبرزون عبر وسائل الأعلام – التي يحاولون السيطرة عليها – إما تنقصاً لبعض ثوابت الدين ، أو التهوين من جدوى مسايرة الدين لزمن التحضر والتقدم ، وأنه لا يملك المقومات التي تؤهله لمحاكاة العالم الغربي ، وأنه من الواجب على المسلمين نفض أيديهم من كل ما هو قديم " يقصدون بذلك الكتاب والسنة " ، ويقتفون كل ما لدى الغرب من قيم وعادات وتقنيات ... وهذا ما تشهد له كتاباتهم وهي تملأ وسائل الأعلام شاهدة عليهم ، ومن ذلك

نيلهم من الدعوة السلفية ، ولا غرو فقد تعدى هذا النيل متجاوزاً إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فما بعد ذلك التطاول من تطاول ، وهنا نزر يسير جد يسير من نيلهم وتطاولهم ؛ يقول أحدهم : (الجنون الذي نراه اليوم عرض من أعراض المرض ، والعلة التي استشرت في جسد الأمة وثقافتها ، وهذه راجعة أساساً إلى تراثٍ متعفن ، وثقافة الصديد والضحالة التي يربى أبناؤنا عليها صباحاً ومساءً ، في المساجد ، وعبر خطب الجمعة ، وفي دروس الدين ، ومن إذاعة القرآن الكريم). ما هذا التراث المتعفن ؟ !! ما الذي يقال في المساجد والخطب وإذاعة القرآن .....؟!! . ويقول قائلهم مستهتراً بكتب التراث الإسلامي وكتب السلف : (ولو أن الحكومة والأغنياء اقتصروا على نشر الكتب المحايدة لكان أولى .... من نشر الكتب الموغلة في المذهبية التي لها أثرها البالغ في زيادة الغلو وتفكيك وحدة المسلمين وزيادة تنازعهم ، ككتب ابن تيمية وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فهذه الكتب تزرع من الشقاق أكثر مما تزرعه من الخير ، ولا تكاد تدخل بيتاً إلا وأنتشر فيه الخلاف والتهاجر والتباغض ..). ويقول أخر في محاولة لمقاطعة نصوص الأحكام المستمدة من القرآن والسنة : (ما نحتاجه الآن : قطعية نوعية مع تراث بشري تراكم على مدى أربعة عشر قرناً ، يقابله اتصال خلاق بالنص الأول في مقاصده الكبرى ، وليس مجرد ظاهرية نصوصية لا تعي ما بين يديها ولا ما خلفها). ويقول أحدهم متنصلاً من عقيدته وهويته الإسلامية إن كان له هوية : (يجب أن نحزن لحزن أمريكا ، لأن فشلها فشلٌ لكل الجنس البشري ، ولأنها تُمثّلُ طليعة البشري). وحول تنقص العقيدة الإسلامية والحديث النبوي يقول مفتريهم : (.. والخطاب الصحوي " الحديث " اتجه بتأثيرٍ من خطاب الشيخ ناصر الدين الألباني إلى الاهتمام " الحرفي " بالسنة والاتكاء عليها ...) .. ثم يقول : (.. ثم الخطاب الصحوي لدعم جديد عثر عليه في البعد العقدي المتمثل في اختيارات ابن تيمية وأقوال بعض غلاة الوهابية في العقيدة) فعلق الدين بالأشخاص وكأن هذا الدين من صنيعهم . ثم يتمادى قائلاً : (فتم بهذا الثالوث الفكري للخطاب الإسلامي المعاصر ، حيث

العقيدة التيمية الوهابية بوجهها الغالي ، ومنهجية الحديث الألبانية ، وحركية سيد قطب الثورية).
وكلامهم لا ينتهي ولن ينتهِ ويكفي قول الله تعالى فيهم :{ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ }[المنافقون:4] ، ولنختم بقول أحد ضلالهم منتقصاً القرآن الكريم : (القرآن الكريم عبارة عن نص مركزي تتوزع نصوصه على ثلاثة محاور رئيسية : محور المتكلم ؛ ومحور المستقبل ؛ ومحور الغائب " المتكلَم عنه " ، فما قد يأتي من نصوصه على لسان المستقبل ، فليس من كلام الله ، وإنما هو كلام ساقه الله على لسان المستقبل " الرسول " لغرض رئيسي في وظيفة النص ...) وبهذا الكلام يبيح لنفسه ولغيره نقد القرآن الكريم وانه نص كسائر النصوص التي يصح نقدها ولا غضاضة ، ألم يعلم هذا الضال أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى وأنه وحي قطعي وأن نقده نقد لله تعالى ، وأن الطعن فيه طعن في المولى تبارك وتعالى ، وطعن في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ..... ولكن هذا هو ما يريدون .

** قواعد وضوابط في الحكم على الدعوة السلفية .

يحسن بنا في خاتمة هذا الحديث أن نذكر بعضاً من الضوابط التي يمكن محاكمة الدعوة السلفية من خلالها ، وقبل هذا فلابد أن يُعلم أن أي دعوة قد يشوبها نقص أو خلل ، فليس هناك دعوة صافية كاملة إلا دعوة الأنبياء والمرسلين ، أما ما سواها فإن الخطأ وارد ، والخلل حاصل ، فلا يُقدس الدعاة ، أو يمجدوا ، أو يظن أنهم حازوا مرتبة الكمال المطلق ، لأنهم بشر ، يصيبون ويخطئون ، ومن ذلك الدعوة السلفية " الوهابية " فقد يشوبها الخلل والتقصير والنقص ، ولكن الحديث كان حول المنهج الذي قامت عليه ، ودعت به وإليه . وفيما يلي نقف مع بعض من القواعد لبيان ذلك : –

أولاً : أن أئمة أهل السنة والجماعة يعترفون بهذا النقص ، وهذا الخلل ، ولا يبرئون أنفسهم من ذلك ، ولا يدّعون الكمال ، وهذه منّة عظيمة ، ومنقبة حميدة ، يقول الإمام مالك : كلٌ يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهي كلمة قالها كثير من العلماء ، واتفق

الأئمة الأربعة وغيرهم عليها ، حتى جعلوها قاعدة مشهورة من قواعد أهل السنة والجماعة .

يقول ابن تيمية : (إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق ؛ بل كل أحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك : إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : { العلماء ورثة الأنبياء فإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر } .

ثانياً : أن أئمة السلف أهل السنة والجماعة لا يتعصبون لأقوالهم ولا لأرائهم ، بل يقرون أن ما وافق كتاب الله وسنة رسوله من أقوالهم وأرائهم فإنه مقبول غير مردود ، وأن ما خالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه مردود غير مقبول ، بل إن الخطأ الواقع ربما رده أدنى الأمة أو أقلها علماً ، كما ردت المرأة عمر بن الخطاب في تقنينه المهر ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر . والأمثلة على ذلك كثيرة متوافرة . قال صلى الله عليه وسلم:{ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد}. وكان السلف يقولون : أعرضوا ما عندنا على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما فاقبلوه ، وما خالفهما ؛ فاضربوا به عرض الحائط .

ثالثاً : أن السلف أهل السنة والجماعة لا ينظرون إلى علمائهم وفقهائهم كما ينظر أولئك إلى قساوستهم ورهبانهم وأئمتهم ، نظرة تقديس ورفعة وتأليه ، وبالمقارنة بين اليهود والنصارى والشيعة من ناحية وبين أهل السنة من ناحية ؛ يتضح الأمر : 1- أن أولئك عندهم رجال الدين لهم صفة القداسة ، ويُتبرك بهم ، ومن خالفهم صُبت عليه اللعنات وتُسخط عليه . أما أهل السنة فليس لديهم رجال دين ، وإنما علماء دين ، وليس لهم قداسة ، ولا فرق بينهم وبين بقية المسلمين إلا بالتقوى ، وبما خصهم الله به من علم . 2- أن أولئك رجال دينهم معصومون من الخطأ ، لأنهم يتكلمون نيابة عن الله ، وليس لأحد أن يتكلم في الحقائق الدينية إلا رجال الدين . أما علماء أهل السنة فهم غير معصومين من الخطأ ، وهم يعبرون عن فهمهم للنص الشرعي ، ومع ذلك يصيبون ويخطئون . 3- أن أولئك رجال دينهم حكام عن الله ، فهم وكلاء

الله في الأرض ، ولذا فحكمهم لا يُخَطأ ، ولا يرد ، ولا يعقب عليه ، ولا يخالف ، فلا يملك أتباعه إلا الخضوع والإتباع والتنفيذ . أما علماء أهل السنة فهم تبع لحكم الله ورسوله ، ولا يقبل منهم إلا ما وافق الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك فيرد ، ويرفض ، ويُخطأ صاحبه .... إلى غير ذلك .

رابعاً : أن أئمة السلف أهل السنة والجماعة يُحاكمون إلى ما قالت ألسنتهم ، وكتبت أيديهم ، وليس من العدل والإنصاف محاكمتهم من خلال نقد أعدائهم ومعاصريهم لهم ، لأن حكم الأقران معروف إلا من رحم الله ، فهل من الإنصاف والعدل أن يُحاكم الإمام أحمد من خلال أقوال أحمد بن أبي دؤاد ، أو المريسي ، وكذلك بقية الأئمة الأربعة ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، فإن عصور هؤلاء مشحونة بالمخالفين والمناوئين ، ومؤلفاتهم تشهد بذلك .

خامساً : أن أئمة السلف لا يُحمّلون تبعات من جاء بعدهم ، ولا يؤاخذون بأقوال من سار على منهجهم ، أو أنتسب إلى مدارسهم ، فمن كان ينتسب إلى مدرسة ابن تيمية ؛ وزلت به القدم فما شأن ابن تيمية في ذلك ، وقل ذلك في المالكية ، والحنابلة ، والشافعية ، والأحناف ، وغيرهم ، فإن هؤلاء لا يُحمّلون سقطات من تابعهم ، وكان على مذهبهم .

** والحاصل أن الحكم على الدعوة السلفية " الوهابية " يجب أن يخضع لهذه القواعد والضوابط ، ومن كان منصفاً كان حكمه عادلاً ، ومن كان في نفسه دخن أو هوى أو حقد وعداء ، فلن تغني عنه هذه الضوابط والقواعد شيئاً ، والأمر لله والحكم له ، يرفع من يشاء ويخفض من يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .